# طبق البيض

بقلم : ماتيلدا حليم

كان مراد شابا وسيما ، طويل القامة اسمر اللون ، بساما ، يمتد ارتداء ملابسه الى حد الاناقة ، وكان معروفا بين اصدقائه فى دنيا الاعمال بطيبة القلب وسرعة التأثر بوجه جميل أو قد معشوق .

وكان مراد متزوجا من نحلاء التى أحبها حاجبا ، وبادلته هى هذا الحب

كان يغرق فى حبها ويغدق عليها المال والحلى ، ولو قيل له يوما على سبيل المزاح ـ انها تريد الانفصال عنه لهلع فؤاده وطار لبه ، ولكنه كان يعرف انه من السهل خداعها ـ فكان كثيرا مايفعل ولم يترك ساقا رشيقة الا وتبعها ولا رنت اليه ناعسة الا واستسلم لسحر عينيها .

وحدث ذات يوم مشرق جميل ان صحا مراد من نومه ملئا بحبه للحياة معتبطا بكل ماحوله .. بالربيع وسيمه العليل ... بحمامه الداكن اللذيذ ... بزوجته التى تزداد غضة وشبابا يوما عن يوم ... ثم رائحة البيض المقلى الشهى الذى وصل اليه أريجه من المطبخ وملأ ارجاء حجرة الطعام ـ ومن الغريب ان مرادا هذا لم يحاول مرة ان يمرر خداعه لزوجته بتلمس اخطائها أو نقد كل ماتفعل شأن الزوج المذنب ـ بل كان تفكيره فى هذا الصدد يأخذ اتجاها غير مألوف ، كان يقول فى نفسه كلما عاد من سهرة حمراء او كان على وشك ارتكاب احدى حماقاته المعتادة .

« لقد كانت هيفاء رائعة فى الليلة الماضية ـ رائعة ! او سامحى الليلة وقتا طيبا مع هذه او تلك ، ولكن هدى هنا فى بيتى امرأة تصغر كل هؤلاء سنا وتفوقهن جمالا وفتنة ، تعرف مزاجى وتسهر على راحتى وتحضر بنفسها حمامى وتعنى بملابسى وماكلى وتهتم بطبق البيض الطازج ـ احب انواع الطعام الى ـ انها خير زوجة ـ تعرف كيف تسعد زوجها ... يا للهناءة .

وجلس الى كرسيه فى صدر المائدة يقرأ صحيفته اليومية فى انتظار زوجته وزوجة الصباح التى ذكره اريجها بشدة حاجته اليها ، وسمع وقع اقدام نحلاء فرفع رأسه ورآها قادمة نحوه تتهادى فى مشيتها كأنها حسناء ، فحياها بقوله « نعمت صباحا يازهرة حياتى ... ما أجملك اليوم وكل يوم»

فابتسمت قائلة ـ امغازلة قبل الافطار يا مراد ؟ لابد وانك ستتأخر الليلة فى مكتبك ؟ .

ـ وكيف عرفت ذلك ؟

ـ لم اعاشرك عشر سنوات عبثا

يا عزيزى ... ولقد علمتنى عشرتك الطويلة كيف اقدر حركاتك وسكناتك

ـ انت مدهشة .

ـ نعم انت مدهشة حقا ..

هل لاحظ فى عينيها تعبيرا لم يالفه ام هو مجرد خياله ؟ ثم عاد فقال :

ـ مرى لنا ببعض الطعام .

ـ انه آت يا عزيزى .

وتصديقا لقولها دخلت الخادم بصينية الشاى التى وضعتها امام سيدتها ثم خرجت وعادت مرة اخرى تحمل طبقا يتالق فيه البيض الطازج المقلى وقد صعدت رائحة البيض البلدى تهيىء المعدة الخاوية بقرب اللقاء وضعته امام سيدتها وخرجت ـ وقدمت بطلاء قدحا من الشاى لزوجها تناوله منها وجلس ينتظر وبدات هى فى اكل نصيبها من البيض وانتظر ان ياتى دوره هو الآخر فلم يات ، وكان من المعتاد ان يقدم له طبقه اولا ـ فسال فى حياء

هل سانتظر طويلا حتى ياتى الافطار؟

انه هنا ياعزيزى .. انظر ـ فنظر ولم ير امامه سوى قطعتين من الخبز الجاف بينما رفعت هى على شوكتها قطعة من البيض الشهى ومضغتها باسنان قوية من اللؤلؤ الخالص .

وسكت برهة تقدمدهاصبره فقال:

ـ ولكن اين طبقى انا ؟

ـ اتقصد نصيبك من البيض ؟ .

ـ طبعا هذا ما اقصد ـ ماذا ظننت انى اقصد ؟

وكظم غيظه فلم يتعود الخروج من شعوره امامها .

ـ ليس لك نصيب من البيض اليوم .. ولكنك ان شئت ـ تستطيع ان ترافقنى بينما استمتع انا بتعبى .

ـ ماذا حدث ؟ هل هناك ازمة فى البيض ام ماذا ؟

ـ لا ـ ليست هناك ازمة فى البيض .. وكل مافى الامر هو انى قلت للخادم بانك لن تريد طبقا من البيض اليوم .

ـ ومن قال لك ذلك ...

وهم بدق الجرس لاستدعاء الخادم.

فقالت بسرعة قبل ان يضغط على الجرس .

لاتفعل ياعزيزى فلن يجدى ذلك شيئا . سأقول للخادم انك لاتريد البيض وتصر انت على نصيبك منه فترتبك المسكينة ، وقد تضطرنا بالخروج وانت تعرف ازمة الخدم اليوم ـ كما ان الشجار امام الخادم ليس من الكياسة فى شىء .

ـ هل هذا نوع من المزاح الثقيل ؟ ام هل هناك هدف خفى ؟

ـ انتظر قليلا وبينما تتلذذ بطعامى وهو ساخن ـ فالبيض لايؤكل وهو بارد .

فقام الى الشرفة وهو يتميز غيظا ولكنه لم يستمرىء هو الآخر الشجار على مسمع من الخدم .

واستمرت هى فى ابتلاع طعام لم تعرف له طعما فقد حانت الساعة الحاسمة ..

واخيرا قالت

ـ مراد .. اريدان اقول لك كلمة .. عد الى مقعدك واسمع لى .

فعاد الى مقعده وهو يرمقها ـ ما السبب فى كل هذا ؟ وما معنى هذا التصرف ؟

قالت معظمة الدهشة ـ الا تعرف السبب ؟ انه انت وفيض ودودو وسمى وصلوحة وزمرة الصديقات ثم اردفت تقد عليهن .

هل لك صديقة باسم صلوحة يامراد؟

فقال بحدة ـ كلا .

ـ الحمد لله .. فقد كنت اخشى ان تكون بينهن صلوحة .. اما الاخريات فلا اعتراض لى على اسمائهن .

ـ انك تهذين فلست اعرف لا فيض ولا بيض .

اذن من تعرف .. عدد لى اسماءهن

ـ وما علاقة ذلك يامطارى ؟

ـ كل العلاقة .. اسمع ياعزيزى ـ انا لااشك فى حبك لى وتمسكك بحبى واحترامى وانك لن تفكر فى الانفصال عنى ولكنى صراحة لاأطيق أن تتقاسمك معى جمع غفير من النساء وفكرت كثيرا واخيرا اهتديت الى حل موفق وهو أن اتعرف فى كياسة ولباقة باسى اعرف كل شىء عن صديقاتك فربما ... يكون فى هذا بعض الكبح لجماحك . الا ترى فى ذلك حلا للمشكل .

ـ اى مشكل ؟ انى لاافهم اطلاقا مانقصدين .

ـ بل انت تفهم جيدا .

ومع كل ما شاع هذا وامطارى ؟

ـ حاول ان تفهم ياعزيزى ـ لقد تعودنا الكياسة فى جميع معاملاتنا ـ ولن تعير من بهجتنا اليوم وصدقنى انى اخجل من ان اسألك صراحة ابرر كنت البارحة .. او متى عدت من سهرتك .. او مع من قضيت ليلتك . فحيائى يمنعنى ولذا صممت ان اخرجك من شىء تحبه كلما شعرت بانك كنت بصحبة احدى صديقاتك .. فاذا اتاك الشاى باردا فربما ادركت ان صلوحة هى المسئولة ... واذا وجدت نقصا فى حوريك فقد كنت مع ست ابوها ـ اما الصابون الرديء فهو جزاء ليلة مع زهرة ... وهكذا ..

افهمت الآن ؟

ـ فقال وقد جن جنونه ـ ولم اخفيت علمك بهذا قبل الآن ؟ لم ادعيت البراءة والجهل ؟

ـ ولم لم تحترمنى انت زوجتى ؟؟

واضافت بعد برهة باتسامتها الغائبة .

ـ اشرب مابقى من الشاى وامض الى عملك .. واذا وجدت عند عودتك ان سريرك غير منظم فلا تلم الا ام الخير .

ـ ليتك تكفين عن اختيار هذه الاسماء القبيحة .

ـ ليتك تكف عن اختيار الصديقات

وشرب مابقى من الشاى واكل الخبز الجاف طائعا ـ وقبل هذا الحرمان الذى فرضته عليه زوجه بحلاء لعناء

حماقته مكررها .. ثم قام يتأهب للخروج الى عمله ـ وكاد يقول جريا على عادته

ـ سأتأخر الليلة لعمل هام ـ ولكنه غير رأيه فقال « الى اللقاء هذا المساء » .

فقالت ... اتمنى لك كل التوفيق وخرج .

ووصل الى مكتبه وهو في اشد مايكون من الغضب والهياج ولم تخفف معرفته بدنسه من حدة ثورته ضد هذه الزوجة الخبيثة التي أخفت معرفتها بأسراره طوال هذه المدة . ان قبلتها هذه شمعاء نعم ... شمعاء لاتصدق لقد لعبت به ، أليست هذه خيانة زوجة ولكن ... انه هو الذي خان عهده معها وكان تأنيبها والحق يقال مهذبا

لبنا ولكن .. لا .. كان يجب أن تنتظر على الأقل حتى تمضي على صداقته الجديدة مع هيفاء ولو بضعة أسابيع . كيف يستطيع أن يفرق الآن من هذه الأرملة الطروب ذات الحيوية الخلاقة والقد الممشوق والشعرات الحمراء !. لا .. ان مطلب نجلاء لمطلب ظالم حقا انها لاتفهم الرجال . هل تريد ان تستعبده باثرى .

وتذكر موعده الليلة مع هيفاء . فتناول سماعة التليفون وادار القرص فسمع صوتها مناغيا دافئا ولكنه تجلد .

ـ الو ... هيفاء . عرفت صوتي بهذه السرعة . انك ذكية ياحبيبتي . نعم .. كنت أود .. لابد ان اعتذر بل انا احبك جدا ... الليلة فقط لا .. لا .. يريك لاتسرعي ..لاتحرجي معه الليلة .. اطلاقا ياحبيبتي .. انا محرج صدقيني .. اقسم لك ..

ولكنها وقرت عليه مهمة القسم والتأكيد فقد أرخت السماعة بشدة آلمت أذنه .

وطهرت انعام سكرتيرته الحسناء فجاة وتقدمت بخطوه ذات الخصور العالية وانفرجت اساريره برهة ثم عاود التقطيب كالطفل الذي تذكر لعبة مفضلة حرم منها دون ذنب جناه .. قربنت على كتفه بعطف تعوده منها وطالما ارتاح اليه وابتسمت في اغراء فتلطفت في الحديث وداهنت وتملقت حلو وتجاوب عاطفي زاده أسى ومرارة بغية ان تسري عنه كآبته فقد فهمتص علامات وجهه مافاتها سماعه على التليفون ، وعلى الرغم من علمها مافيها واحده من كثيرات الا ان هذا لم يثنها عن البقاء الى جانبه وكان هو بدوره يلجأ اليها في كل محنه العاطفية مسترشدا وقد تعددت محنه في الايام الاخيره وهي بفضله خبيرة في انواع الصداقات المجددة والا فما فائدة الصداقة !

واستجاب اخيرا لحديثها ورقتها فدعاها الى تناول الغداء في افخر مطعم بالعاصمة وقص عليها كل ما جرى بينه وبين نجلاء ثم حديثه مع هيفاء فخفت عنه الى درجة انسته ذاته وآلمه فوجد نفسه يعود معها الى مسكنها بعد العمل حاملا الهدايا والزهور وبالغ في اكرامها فيصعد الى شقتها ويقبل كاسا وربما كاسين ... فلم يستطع جرح شعورها..

وعاد الى بيته في موعد العشاء فقابلته نجلاء كعادتها هانئة باشة ولكنه ما ان وصل الى حجرة نومه حتى وجد فراشه كومة من الملاءات والمخدات وبات ليلته في سرير لم يعرف له رأسا من عقب ، وقام في الصباح التالي يحسب لقابلة زوجه الف حساب .

ترى هل دفع ثمن اكرامه لانعام سرير ظل يتخبط فيه طول ليلته ام بقي عليه جزء من دين الأمس يصعب سداده ؟ لكن حيرته لم تطل ، فقد وجد طبق البيض الشهي على المائدة كما يحب ويشتهي ،وزوجته الى جانبه بريئة في تلبية أوامره وقبلها مودعا ثم قال .

ـ نجلاء سأحاول جهدي ان استقيم

ـ فقالت بهدوء والابتسامة لم تفارق

شعتها ـ انني واثقة من ذلك يا عزيزي.

وانقضت الأيام ولم يحدث ما يكدر صفو الزوجين اللهم سوى مذكر طفيف بين آن وآخر كجورب مثقوب او صورة في غير مكانها .

واستطاع مراد بفضل انعام ان يبتعد نهائيا عن هيفاء وغيرها فلم تكن صداقته تبدأ مع واحدة منهن حتى تتدخل انعام في حكمة وكياسة فتعذر لهن عن تلبيته او اهماله بلهجة حاسمة لاتقبل التردد او التعقيب ... فتربعت هي على عرش قلبه في أثناء العمل واحيانا خارجه . وكانت والحق يقال اقل الصديقات مطاردة ومتابا ، وكان مراد يوازن احيانا بين قبلة من انعام وبين طبق شهي من اللحم او الحساء ، وكانت ترجح كفة انعام احيانا فيذهب بدون اللحم والحساء .. ولكن شيئا واحدا طل يحيره . وهو كيف استطاعت نجلاء الوقوف على حركاته وسكناته بهذه الدقة ونسي ان المرأة ام الرجل .

وهاله يوما ان وصل الى بيته بريئا من كل الهفوات فلم يجد كرسيه المفضل في مكانه المعهود ونظرت نجلاء الى وجهه البائس واعادت الكرسي الى مكانه بسرعة بعد ان طالت ترقب .

ـ لقد اخطأت التقدير هذه المرة يا عزيزي فمعذرة .

وتكررت الهفوات من جانب نجلاء كان اهملت وضع الصابون في حمامه او غيرت من موضع كرسيه فشعر بالعلم يحيق به ويكتم انفاسه فقرر الترفيه عن نفسه بسهرة حمراء مع انعام وليكن بعد ذلك مايكون . ولكنه عاد الى بيته بعد سهرته فلم يجد نقصا في ازرار قميصه او أي مذكر لما اقترف .

وسارت الحياة مطمئنة شطرا من الزمن وتباعدت نوبات الحرمان حتى كادت تنعدم ، وارتاح مراد الى حياته الجديدة وهدأ باله فاتخذ من انعام صديقة وحيدة واكتفى بها . ووجد الحياة سهلة وامرأتين خيرا من عشرين لاسيما وان احداهما كاتمة اسراره «انعام» والثانية زوجته «نجلاء» .

ودامت هذه الحياة الناعمة المطمئنة فترة حتى نسي مراد ماضيه ومغامراته الى ان راى زوجته يوما تاكل خبزا جافا مع الشاي ، بينما يلتهم هو البيض الشهي بشغف وسرور فقال :

ـ ماذا حدث ؟

ـ لم تحر جوابا .

ثم عاد فقال مداعبا .

ـ لم الحرمان ؟

فاغرورقت عيناها بالدموع وظلت تقضم لقمتها اليابسة وقام هو الى الشرفة واخذ يجوب ببصره في الأفق البعيد .